التيارات في الصحافة الغربية إثر قرار

▪ خطوة يائسة لتعزيز مركزه ▪ رضوخ للقوى

▪ التخلي عن الخيار العسكري وفتح الباب أمام مبادرة جديدة لحل سلمي ▪ الفاردبان تتح

كان متوقعا ان ياخذ قرار السادات الاخير بانهاء مهمات الخبراء السوفيات في مصر ، حيزا كبيرا في تعليقات الصحافة الغربية ، خاصة الاميركية والبريطانية والفرنسية . وقد تضمنت هذه التعليقات والتحليلات ، آراء المراقبين السياسيين حول الاسباب التي دفعت السادات الى اتخاذ مثل هذا القرار ، كما تضمنت توقعاتهم للمرحلة الجديدة القادمة .

وقد تركزت التيارات في هذه الصحافة الغربية ، في الواقع ، على ثلاث نقاط . فمن ناحية ، نشت كل ما في جعبتها من تشفي بخروج السوفيات من مصر ، وانطلقت احداها ، « النيويورك تايمس » الاميركية ، في محاولة خائبة لخلق شعار مقابل للشعار الذي رفعته الشعوب المضطهدة في العالم الثالث ، بعفويتها الصادقة ، والقائل « ايها الاميركي ، عد الى بلادك » ، بان وضعت تعليقها بعنوان « ايها الروس ، عودوا الى بلادكم » (!)

طبعا ، ان بروز هذا التيار في ردود الفعل الغربية كان متوقعا ايضا ، لانه صادر عن اجهزة اعلام المصالح الامبريالية ، الاميركية بالدرجة الاولى ، وليس له اية اهمية بقدر اهمية ما تضمنته ردود الفعل هذه من توقعات .

ضغوط اليمين في مصر

ومن جهة اخرى ، رات هذه الصحف في معظمها ، بان قرار السادات قد اتخذ نتيجة ضغوط اليمين في مصر الذي يريد ان يغلق الباب نهائيا على احتمال تجدد القتال ضد اسرائيل لتحرير الاراضي العربية المحتلة في حزيران ١٩٦٧ ، وتوجه الحكم القائم نحو العزلة المصرية والتوقيع بفك الارتباط بحركة التحرر الوطني العربية ، وقضيتها المحورية ، تحرير فلسطين . وقد اشارت بعض هذه الصحف الى ان يتمكن السادات من اكتساب المزيد من السلطة على متنفذيه او على اكثرية الشعب المصري . وفي هذا الصدد قال جيم هوغلاند مراسل « الفاردبان » في بيروت انه من الارجح بان السادات يتخليه عن المساعدة السوفياتية المباشرة « قد يكون وضع نفسه في مركز يمكنه من مواجهة شعبه الغاضب وابلاغه بان على مصر ان تعتمد على نفسها في صراعها مع اسرائيل بحيث تتمكن من بناء قوة ذاتية دون مساعدة اجنبية . فمثل هذا الموقف كفيل بان يوفر له وقتا ثمينا هو بامس الحاجة اليه لكي يستعيد مكانته السياسية » .

ولكن هوغلاند يعود فيقول بان هناك احتمال ثالث هو ان يحاول مرة اخرى ان يرتدي رداء الساعي الى السلام ، ذلك الدور الذي حاول ان يلعبه في اعقاب خلافته الرئيس عبد الناصر عام ١٩٧٠ .. ان الرئيس السادات قد اقدم على الامر الوحيد الذي كان نقاده يوحون ضمنا بانه عاجز عن الاقدام عليه . لقد تصرف بطريقة حاسمة من شانها ان تغير ميزان القوى في الشرق الاوسط » .

اما « النايمز » اللندنية فقد قالت في هذا الصدد ، بان السادات قد استطاع بقراره « ان يحول الانتقادات العامة لعجز البلاد امام اسرائيل عن شخصه بالذات ، ولو مؤقتا . الا ان المجال مفتوح للتكهن حول ما اذا كان باستطاعته ان يصمد في وجه العاصفة المتوقعة ، وما اذا كان التحول الجديد في السياسة سيخرس الاصوات المنتقدة التي ارتفعت في الاونة الاخيرة الى درجة تنذر بالخطر » .

اما « الفايننشال تايمز » فقد كانت اكثر وضوحا في الاشارة الى طبيعة هذه الضغوط التي مورست على السادات ، وفي تحديد هوية هذا اليمين الضاغط ، عندما قالت بان « الرئيس السادات قد رضخ للضغوط من الجيش والسياسيين في الطبقة المتوسطة » ، واضافت تقول : « وقد ظهرت الان حجة تقول بان الرئيس السادات قد ضمن لنفسه تاييد العناصر المدمرة داخل الجيش المصري وهي التي كانت تهدد مركزه ، وبذلك سيشعر بانه قادر على ان يصمد امام الفعل المعادي من اليسار المصري » .

وكانت « الفاردبان » اكثر تحديدا في هذا الصدد ، عندما اشارت الى المذكرة التي قدمت الى السادات ، والتي تدعو الى اقامة جبهة وطنية لتحكم البلاد ، وشبهت الاتحاد السوفياتي

السادات

ـ اليمينية في مصر

ـدث عن تطور راديكالي محتمل في المنطقة

بالشيطان (!) وقالت بان الاتجاه الذي يمثله واضعو المذكرة سيعظم ويطغى بحيث لن تتمكن مقاومته ، ولن يبقى امام السادات ، « السير في الاتجاه الذي يمثله او الفرق تحت ذلك البار . فالسياسات الجديدة تتطلب سياسة جددا . وخلصت الصحيفة الى القول : « ان خطوة السادات لم تكن جرئة بقدر ما كانت يائسة » .

وكانت « النايمز » قد اشارت الى هؤلاء عندما قالت بان « الفئة المعادية للسوفيات والتي تنطق بتاييد تتجه للعمل المزايد في الجيش المصري قد وجدت ما يشجعها في الزيارة التي قام بها اخيرا الى القاهرة الامير سلطان وزير الدفاع السعودي ، والتي دلت على ان في وسع المصريين ان يركنوا الى اصدقاء غير الحكومة السوفياتية » .

وقد نقلت « النيويورك تايمز » رايا اخر في هذا الموضوع ، عندما ذكرت على لسان مصريين مطلعين ، تركيزهم على موقف السادات الاساسي المعادي للشيوعية ، وتاكيدهم بانه لم يحتاج الى اي اقناع لاتخاذ خطوته ، وبان تعليل الفئات اليمينية المعادية للسوفيات لم تكن عنصر رئيسيا ضاغطا ، بل على العكس اسطفها السادات لاتخاذ قراره . كما اضاف ، تنقل راي الدبلوماسيين الاجانب ، الذين يربطون بين توقيت القرار وبين العيد العشرين لثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبدالناصر ، تقول : « ان هؤلاء الدبلوماسيون يشعرون بان السادات ، بالاضافة الى تهدئة التذمر في الجيش، اراد خطوة دراميه تعطي البلاد دفعة معنوية » .

فتح الباب لمبادرة اميركية جديدة

اما فيما يتعلق بالنتائج المتوقعة لهذا القرار الخطير ، فقد عكست الصحافة الغربية الراي الغربي الذي يرى بان مصر قد اغلقت بذلك الباب نهائيا امام الحل السياسي للقضية النزاع مع اسرائيل . فقالت صحيفة « الفاردبان » : « ان موقف مصر لا يمكن الا ان يزداد ضعفا بذهاب التاييد الروسي ولكن اذا استطاع المصريون مع الزمن قبول هذه الحقيقة العسكرية، فان ثمة املا في ايجاد حل . وعندئذ ربما يمكن الدكتور باربنغ من تحقيق قائدة بعودته الى مهمته . وقد يكون في الامكان اقناع الاسرائيليين والمصريين بوجوب تعديل اقوالهما لتم افعالهما حتى تتمشى مع واقع الحاله التي لا مفر منها الا بالتفاوض » .

وراى « النايمز » بان الحل اصبح الى حد كبير ، في يد اسرائيل : « فاذا كانت اسرائيل تشعر بان لديها القوة الكافية فانها قد تمكن من انتهاز الفرصه للشروع في مفاوضات ذات قيمة .. توجد الان فرصة على الاقل ، لاستقرار الوضع في الجزء الشرقي من البحر المتوسط . وخير خطوة تتخذ اولا هي ان يقل جميع الاطراف بالقصى ما يكون من الجدية ، بحث النشاط مجددا في مهمة الدكتور باربنغ » .

وبعد ان تساءلت الصحيفه عما يمكن لمصر ان تفعله الان بعد القرار الاخير ، قالت : « من الواضح انه في الامكان اصلاح علاقاتها مع الغرب وخصوصا مع الولايات المتحدة الاميركية ، بل ان هذه العملية قد بدات فعلا . وستوجد حاجة عاجله ايضا لبناء صناعة اسلحة خاصة بمصر . ومن المؤكد تقريبا ان اموال اللبيين ستكون متيسرة لهذه الغاية . واي نهج من هذين النهجين لن يكون فيه سوى دعم قليل جدا للرئيس المصري .. »

وفي هذا الصدد قالت « الفاردبان » : « ان اتباع سياسة الاعتماد الذاتي من الناحية العسكرية تتطلب تاجيلا للمعركة الى ما لا نهاية، اذ ان العرب يحتاجون الى وقت طويل لتطوير جيوشهم وتحسين اوضاعها ، وهذا يتطلب مثلا تنسيقا وثيقا بين مصر وسوريا ـ وقد سبق للرئيس عبدالناصر وغيره ان قال : ان السبيل الوحيد لمحاربة اسرائيل هو مهاجمتها من الشمال والشرق ، وهذا يعني ان المصريين ليسوا بعد جادين فيما يتعلق بخوض القتال » .

وفي مقال في « الفايننشال تايمز » قال وليام دلفوس : « ان السادات مستعد من دون شك لان يجازف وينطلع شطر ليبيا والمملكة العربية السعودية للمزيد من الدعم المالي بعد ان سار الان نحو سياسة تشبه سياستهما الى حد ما .. وهناك بعض الشك حول توقيت عملية السادات ، اذ على الرغم من ان المصريين قد حاولوا البرهان على ان طرد المستشارين يجب ان لا يفسر على انه عمل موال لاميركا ، الا انه يفتح الباب من دون شك امام مبادرة اميركية جديدة في الشرق الاوسط . والمسالة هي ما اذا كانت ادارة الرئيس نيكسون مستعدة لقبول مبادرة جديدة في وقت قريب من انتخابات الرئاسة » .

ورقة رابحة لنيكسون

ولكن مارلين برغر في صحيفة « واشنطن بوست » قالت بان قرار السادات يمكن ان يضيف ورقة رابحة في حملة الرئيس نيكسون لاعادة انتخابه « لان المستر نيكسون يستطيع ان يدعي بان موقف القوة في مساعدة اسرائيل قد اظهر للروس بان الولايات المتحدة لن تسمح بنوسع سوفياتي في محدود . ان نيكسون يستطيع ان يزعم بان تاييده قد رفع الدب الروسي عن كاهل اسرائيل » (!) ولكنها في الوقت نفسه تساءلت عن العبرة من وراء هذا التوقيت المصري فقالت : « مهما كانت النتيجه الا انه (القرار) اثار منطقه بدت بانها ستكون هادئة خلال انتخابات رئاسة ١٩٧٢ في الولايات المتحدة . وبالتالي فان الوقيت بشر الخيره اذ من المشكوك فيه على ما يبدو ، ان يتوقع مسؤولون دهاة في القاهرة اي ضغط اميركي على اسرائيل عندما يسعى كلا الحزبين وراء الاصوات اليهودية » .

وفي ما يتعلق بدور اميركا في انخاذ القاهرة لهذا القرار ، قالت برغر : « هناك بعض الاشارات بان المسؤولين الاميركيين كانوا يعلمون بان هناك شيء ما في الجو . ولكن اثنين من كبار مسؤولين وزارة الخارجية الاميركية الذين يعالجون الشؤون المصرية (نائب الوزير جوزف سيسكو وماكل سنيرز « مدير بلاد » مصر) كانا في اجازة » (!) اما فيما يتعلق بالرحلة الجديدة القادمة ، فقالت : « نظريا ، ان طرد الخبراء السوفيات والفنيين ، يحرر الجيش المصري للقتال ضد اسرائيل . ولكن في الواقع فانه يظهر بوضوح وهي مصر بان ليس لها خيار عسكري في حل ازمة الشرق الاوسط ، وبانها يمكن ان تنذر بحملة دبلوماسية جديدة » .

ومسالة وجود ايحاء اميركي وراء القرار المصري الاخير ، كانت واردة في صحيفة « نيويورك تايمز » . ففي مقال له في الصحيفة قال س. ل. سولزبرغر : « كانت واشنطن تشعر بان الوضع يمكن ان يتغير نغيرا هاما اذا ما انسحبت القوات السوفياتية .. »

واضاف يقول : « لقد شدد صانعو السياسة الاميركيه دائما على ان مقدمه اي تغير اساسي في ازمة الشرق الاوسط المنهكه ، هي خروج القوات السوفياتيه من مصر .. والان بما ان هذا الامر يجري ، فمن المحتم ان تحصل مراجعة جدية لسياسة الولايات المتحدة عندما يتثبت مدى هذا الانسحاب .. ان الاهمية قد تكون عظيمة » . وقد اوحى بالاحتمالات القادمة عندما قال : « والى جانب محاولة تشجيع بعض الترتيبات لسلم عربي ـ اسرائيلي .. فان الهدف الاول لسياسة الولايات المتحدة كان خلق نوع من هدنة الامر الواقع الطويلة الاجل ، بين اسرائيل وجيرانها ، كالتي كانت قائمة بين الهند وباكستان قبل حرب ١٩٧١ . ومثل هذا الوضع يسمح لنزاعات محلية عرضية ، صغيرة ومحدودة » .

ولكن دبفيد هيرست مراسل « الفاردبان » في بيروت ، لم يكن بهذا التفاؤل . فهو يتوقع ان تنتهي هذه السلسلة من الانتفاضات الى ان يصبح العالم العربي اشد تصميما على الصراع ضد اسرائيل .. فطرد الروس يعني ايضا ان السادات قد نفض يده من مبدا جوهري كان يتبناه بحماسة ، كما كان يفعل عبدالناصر .. ولم تكن خطوة السادات جريئة بقدر ما كانت يائسة . ومن المحتمل ان يكون قد فتح في النهاية الباب في وجه ما لا يستطيع كبحه . اعني اصطباغ النضال ضد اسرائيل بالصبغة الراديكالية » ■

الصحافة الفرنسية

ان ما يلفت النظر في تعليقات الصحف الفرنسية حول قرار السادات بانهاء مهمة الخبراء والمستشارين السوفيات في مصر ، ان القرار لم يكن مفاجئا للدوائر الفرنسية والاوروبية عامة بل انه كان هناك توقع غامض بانه سيجري شيء ما في مصر ، وخاصة بينها وبين الاتحاد السوفياتي .

وركزت « اللوموند » في مقال افتتاحي على « استراتيجية السادات الجديدة وقالت ان مصر تسير على طريق جديدة منذ بداية عهد السادات الذي كان ينظر الى العلاقات المصرية ـ السوفياتية وكانها سيطرة جانب على جانب اخر . و « الاستراتيجية السادانية » لها شعبن هما : اما التشدد في مخاطبة الغرب ، واميركا واسرائيل ، واما انتظار عروض جديدة وربما تقدم بها اميركا » وبالطبع هللت هذه الصحيفة ، كما هللت الصحة ـاليمينية في فرنسا ومن بينها الاورور والفيغارو لقرار السادات ووصفته بالقرار الشجاع ، كما تمنت ان يستمر السادات في طريقه الجديدة وان يخاطب الغرب بصورة منطقية غير متشنجة . ووصفت الصحف الفرنسية القرار وكانه موجه الى دولة استعمارية استيطانية تنهب ثروات الشعوب العربية .

وسلطت هذه الصحف الاضواء على دور « الاتحاد السوفياتي : كدولة مستعمرة ليس لمصر فقط ، بل لكل البلدان العربية وخاصة للعراق » . ونشرت الاكسبرس اليمينية تحقيقا لاحد مراسليها اورد فيه ان الشعب المصري اشترح كثيرا للقرار وكانه انتصار على عدو من الاعداء ، خاصة كما تقول المجلة « وان الشعب المصري لم ينتصر مرة واحدة في تاريخه الحديث » . وتقول المجلة ان المستشارين السوفيات طردوا طردا بالعمل وعوملوا بقسوة لدى خروجهم من مصر وخاصة في الجمرك وفرف التفتيش » .

وعلى حد قول المجلة ذاتها « فان قرار السادات موجه بصورة خاصة الى سياسة بريجنيف التي تلخصها الدوائر الغربية « بالسيادة المحدودة » نتيجة ضغوط تلقاها السادات من ليبيا ودمشق والجزائر والسعودية » . وكشفت المجلة « ان هنري كيسنجر مستشار نيكسون لشؤون الامن القومي اشترط على مصر منذ سنين سحب الوجود العسكري السوفياتي من مصر لقاء انفاق لتجريد سيناء من السلاح واعادتها الى مصر ، كما اعاد الامر سلطان بن عبد العزيز الكرة مرة اخرى بعد زيارته الى واشنطن وشدد على ان سحب الوجود العسكري هو شرط اساسي للسلام في الشرق الاوسط » . وتساءلت المجلة لماذا لم يعط السوفيات اسلحة هجومية ومساعدات اخرى لمصر فقالت : « ان هذه القضيه كانت منذ عهد خروتشوف الشغل الشاغل للاتحاد السوفياتي؟ فهل يستطاع دفع قوى عسكريه ضخمة وتوظيف الاموال وبناء سد اسوان لحساب نظام ليس له هوية خاصة وايديولوجية محددة ؟ » وتقول المجلة ان جمال عبد الناصر كان يشكل ضمانة للاتحاد السوفياتي ، ولكن ذهابه وذهاب مجموعة علي صبري جعلت الاتحاد السوفياتي يقف امام ابواب موصدة »

ونشرت المجلة تحقيقا مليئا بالتحريض ضد النظام العراقي ، جاء فيه « ان الهدف من ناميس الاي. بي. سي هو وضع البترول العراقي بيد الاتحاد السوفياتي الذي اصبح يملك الكثير من الشركات الاحتكارية في العراق » . وكشفت المجلة النقاب عن الخطة التي وضعها الاي. بي. سي وبريطانيا والسعودية وايران لقلب النظام في العراق عن طريق تخفيض الانتاج السبب الذي دفع هؤلاء الى تاميم الشركة الكبيرة » .

اما مجلة النوفيل اوبسرفاتور فقد حدد لها ان تقوم بدور مهم بعد قرار السادات : « فالجيش المصري لا يملك سلاحا حتى للدفاع عن الارض المصرية وهو ايضا لا يملك الكفاءات الفنية والشجاعة لمحاربه اسرائيل السبب الذي دفع الاتحاد السوفياتي عدم ارسال الاسلحه الهجومية الى مصر » . ونشرت المجلة العديد من الفصص المختلفه حول علاقات الضباط والجنود السوفيات والمصريين ووصفها بالعلاقات السيئة جدا واوردت على لسان احد الخبراء السوفيات قوله : « ان الجيش المصري شبيه بالكرة ، تستطيع تنفيسها متى تشاء » . وقالت المجلة التي تضفي على نفسها صفه التقدمية بان العلاقة مع الاتحاد السوفياتي كانت ساحقة على الصعيد الحربي ، ومحرجة على الصعيد الاقتصادي ونعس في السيادة على الصعيدين السياسي والدبلوماسي » .

وتوقعت المجلة ان نظل الحالة في الشرق الاوسط في وضعها الحالي حتى بتاير القادم بعد الانتخابات الاميركية اي ان الرئيس القادم في الولايات المتحدة سيستطيع الضغط على اسرائيل مقابل تنازل السادات عن الخبراء والمستشارين السوفيات . وانهت المجلة تعليقها بالقول هل سيصمد النظام المصري حتى ذلك الوقت ؟

اما الصحف الفرنسية التقدمية (جون افريك ، بولتيك ، الشهادة) فقالت ان السادات عرى نفسه ونظامه عندما اقدم على هذه الخطوة اللامنطقية . وربطت المجلات والصحف التقدمية بين القرار وبين زيارة روجرز للخليج وتحركات الدبلوماسية السعودية لفرض السلام الاميركي على المنطقة وقالت مجلة بوليتيك ان قرار السادات « سيشجع الرجعية العربية ومحاولاتها في تصفية قضية فلسطين طبقا لمصالحها وسيمكن الولايات المتحدة من المحافظة على مصالحها وترسيخ احكامانها في المنطقة كما يمكن اسرائيل من عد رجليها فوق الاراضي العربية المحتله » .

ان تعليقات الصحف الفرنسية الخاضعة لسيطرة الامبريالية ومصالحها تدل على ان هناك خطة محكمة لضرب الحركة التقدمية في البلدان العربية وعلى ان هناك هجمة امبريالية جديدة لضرب المصالح الشعبية وتصفية الثورة الفلسطينية . وربطت معظم الصحف قرار السادات بالحل السلمي وبالمفاوضات المقترحة التي سيقوم بها باربنغ ، مما يدل على مدى شراسة الهجمة الجديدة التي بدات تظل تباشرها ضد الثورة العربية ■

سولزبرغر النيويورك تايمس !

□ يحاول بعض المسؤولين في القاهرة الاكثار من تعابير الامتنان والتقدير لما قدمه الاتحاد السوفياتي من مساعدات في شتى المجالات ، لمصر ، وذلك ربما للتخفيف من حدة الاسلوب الذي تم فيه اعلان القرار الاخير .

في هذا المجال ننقل من دون تعليق ما ورد في مقال س. ل. سولزبرغر المحرر السياسي في صحيفة « نيويورك تايمز » في ٢١ تموز ١٩٧٢ :

● « آخر مرة راست فيها الرئيس المصري انور السادات منذ سبعة اشهر ، قال « انني لا اطالب احد بان يقاتل معركتي انا » . واضاف : « يجب ان اكون عادلا فاقول بان السوفيات انفسهم لا يريدون ان يبقى قواتهم هنا . وكل مرة حاولت فيها اطالة مكوثهم ، كان علي ان استقل كل جهودي لاقناعهم » (!)

● لقد قال في السادات بانه كتب الى نيكسون قائلا : « انني اقدم التسهيلات للاسطول السوفياتي في البوسفور ، لانهم وقفوا الى جانبنا في الايام الحالكة . وسابقى على الخبراء هنا .. ان السوفيات انفسهم لا يريدون ان يبقى رجالهم هنا في مواقع صواريخ سام » (!)